ثقافة وأدب

مسرحيّة القبضاي هل قالت ما أرادت قوله؟

حين تكون مقاييس العمل الفني مرتبطة بالعلاقات الشخصية بنوه التقييم وتضيع الاحكام فنجدها تتراوح بين اقصى الاعجاب واقذع الهجوم . وبما ان لكل عمل وجهان كقطعة العملة وجد كل ناقد المبرر لديه لاطلاق احكامه (هذا لو كلف نفسه عناء ذلك) .

وحين يكون العمل الفني دون لون او طعم او رائحة ، ولكن القيمين عليه على علاقات طيبة بأبواق الصحافة والاذاعة والتلفزيون تعلو حينئذ اصوات الطبل والزمر وتجرى المقالات وتذاع الاغنيات واغلب الاحيان دون جهد الاطلاع العميق على ذلك العمل او على الاقل دون اطلاق كلمة حق ونقد بناءة في ذلك العمل .

ونظرة عابرة على ما تهتم به اجهزه الاعلام من الاعمال الفنية او الادبية او المسرحية او سواها يثبت هذا الكلام . ويتساءل الانسان احيانا : ما هي المقاييس التي تعتمد في الحكم على عمل ما ؟. هل هناك مقاييس علمية مبدئية متعارف عليها على كل ناقد اعتمادها ؟. اذن لماذا نجد موقفا يمجد انتاجا ما بينما اخر يهاجم بقسوة نفس هذا الانتاج ؟

ام ان المسالة مزاجية ؟ فالمرتاح المتفائل يمدح والتعبان المتشائم يشتم ، اغلب الظن ان الامر مسالة علاقات شخصية فالذي يجيدها ويجيد الدعوات والنفاق يكسب الكلام الى صفه ، وفي احسن الحالات ينال مقالات نقدية لا تعني شيئا ، وقد يكون هذا بعض ما يتطلبه العمل للفت النظر فقط .

هذا المقال ليس من هذه الفئات، وسوف يتحدث عن عمل له لون وطعم ورائحة ، وسوف يقول نعم او لا لهذا العمل ، وذلك هو مسرحية « قبضاي » لجلال خوري .

يذكر جلال خوري مكررا ومتعمدا ، انه اقتبس هذه المسرحية عن « جون ميلنغتن سنج » ولا ادري هل لذكر اسم هذا المؤلف علاقة في تقييم المسرحية او بشأن الذاكر ، او بالجمهور الذي يرطن بلغات اجنبية او ان ذلك هو جواز مرور مبدئي وتغطية لبعض الهنات التي قد تنشأ في تركيب هذه المسرحية ؟! وليس الاستطراد هنا الا للقول بأن جلال خوري نجح في عمله دون حاجة لجواز مرور « سنج » .

احداث المسرحية تروي قصة مرعب (نبيه ابو الحسن) الشاب الهارب من وجه السلطة لانه قتل اباه ، الى قرية نائية معظم سكانها من الخارجين على القانون ، ويلجأ الى دكان ترعاها صبية حادة الطباع تمثل سكان القرية اسمها حلا (الين تابت) وهي ابنة فليمان (سليمان الباشا) صاحب الدكان الذي يقضي معظم اوقاته في السهر والسكر وتقديم واجب التعازي بشرب العرق عن ارواح الاموات .

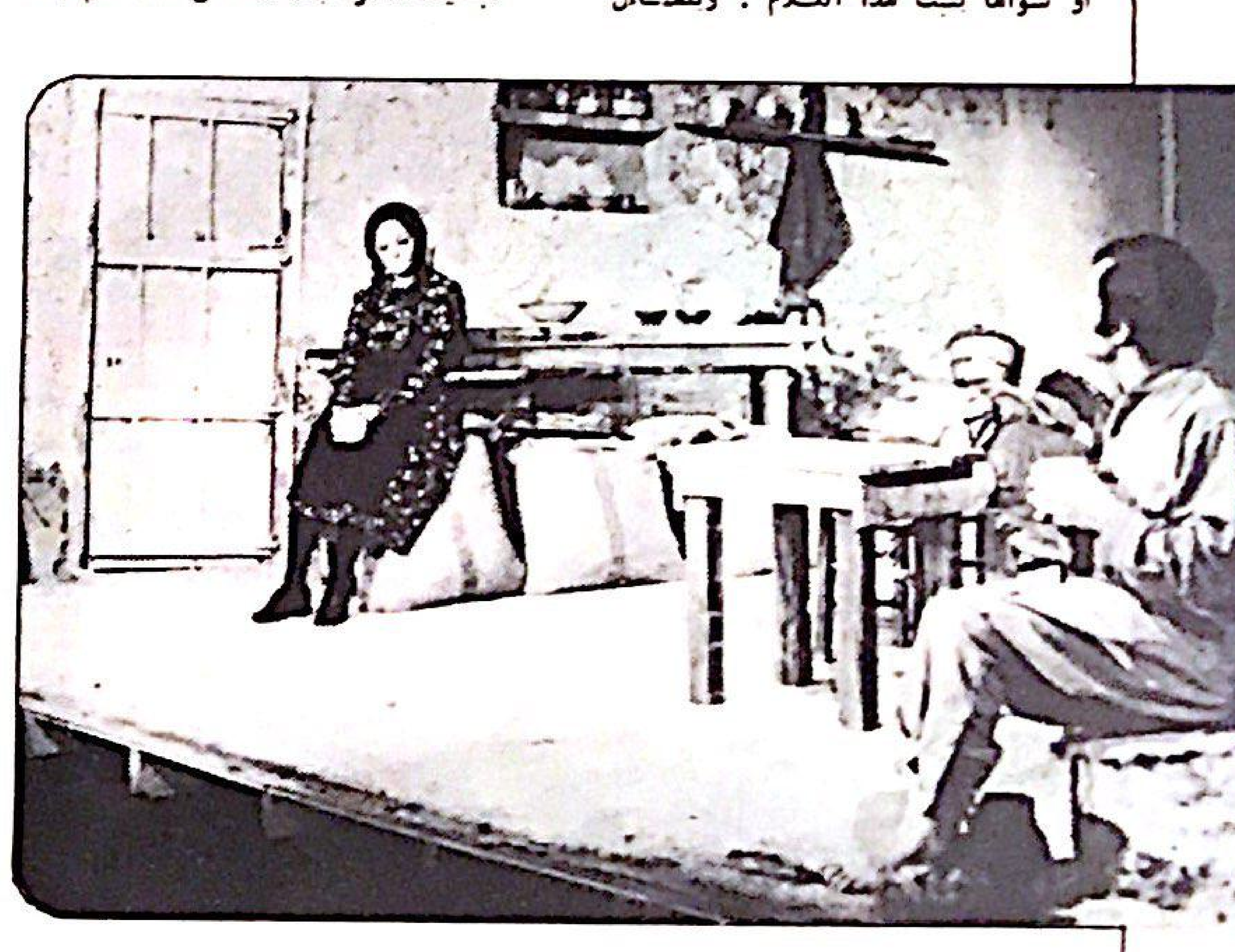

اهل القرية يصنعون من مرعب الشاب البسيط النكرة بطلا لانه آتى عملا لم يأته سواه ، في اليوم الثاني يأتي والد مرعب (كريم ابو شقرا) يفتش عن ابنه فيفتضح امره وتنقلب الضيعة ضد القبضاي ، وحتى حين يحاول أن يقتل اباه مرة ثانية يتألب عليه اهل القرية وتقوم (حلا) التي احبته وساعدت في بناء اسطورته بربطه بالحبال لتسليمه للسلطة كي تأمن القرية شر السؤال والاستجواب .

يقول جلال خوري في تقديمه للمسرحيه :
و « السوبرمان » الاسرائيلي في عين المطلق لا يعتبر « سوبرمانا » الا بقدر ما يعتبر الانسان العربي المهزوم منحطا دون رجعة (وهذا ما يراه البعض) . لذا فان التدرب على ادراك تناقضاته واخراجها الى النور هو الخطوة الاولى لحماية نفسنا منه » .

فهل نجح جلال خوري في ابراز تناقضات السوبرمان ، وكذلك الانسان العربي المهزوم ؟

المسرحية في سردها المبسط تروي قصة المجتمع العربي المعاصر وتروي تناقضاته اكثر مما تتعرض لتناقضات السوبرمان ، والتي اقتصرت في ذلك على خلق اسطورة البطل من موقف ضعف وتخاذل المهزوم فحسب .

مواقف وشخصيات الرواية ترمز الى الواقع وتكاد تسمى الاشياء باسمائها .

فموقف خلق البطل الاسطورة من لاشيء يمثل قصة السوبرمان ، اما شخص البطل وموقف الضيعه منه بعد افتضاح امره فنراه يمثل العدو بينما ترمز السلطة الى اسرائيل ودورها في ارهاب اهل الضيعة بينما كان امرها لا يهمهم ، اما حلا فاغلب الظن ان اسمها الصحافه ، فهي ذلك البوق ذو الصوت العالي الذي خلق الاسطورة وصدقها ، ثم لم تتوان لحظة عن ان تكون اول من يحطمها وينسجم مع مواقف المجتمع المتناقضة .

مهما يكن العمل الفني قريبا من النجاح فانه ان لم يتخذ موقفا ، فهو اشبه بقهقهة اليائس ترفعه لحظة لتهوي به في بئر اليأس اكثر ألما وتشاؤما . والمسرحية اتخذت عدة مواقف فهي :

□ اولا : ضد السلبية . يقول مرعب « عشت عالحياد ما حدا عارف مين انا » ويأتيه الجواب : « مهيدول اللي عالحياد الخاربين الدني » وفي مجال آخر : « اذا ما عملت عاطل ورزيل عمرك ما تعمل منيح »

وهي ثانيا ضد المطلق سوء في موقف القبضاي او موقف اهل الضيعة او كما يقول نشيد الخارجين على القانون « ال عندن عار .. عنا شرف ورجولية » .

وهي ثالثا : ضد السلطة والعسكر وادواتهما. يقول البطل « هارب من العكرية والكلاب » و « الحكومة ما فيها تلحقوا .. مشتغل بالتجارة » و « القانون .. متل الطاعون .. ما عمرو جاب الخير .. لفي باللي حيكوه » ..

وهي رابعا : ضد تسلط الطائفية ورجال الدين والمتاجرة بالدين والاخرة فابونا كرياكوس كان في الضيعة وكيل الله على خلقه ورغم خروج اهل الضيعة على القانون الا ان كل امر كان يحتاج الى بركة « بونا كرياكوس » .

وهي خامسا : اهم ما في المسرحية ، ضد المجتمع العربي المعاصر الحالم . والذي يمجد البطولة من بعيد لبعيد .. ولا يمارسها .. وهو المهزوم في داخله قبل ان يكون مهزوما من الخارج . فحين قتل القبضاي اباه مرة ثانية ليثبت لهم بطولته التي نفخوها فيه انقلبوا عليه وبادروا بالقبض عليه لتسليمه للسلطة وحين أخذ يتساءل كيف يفعلون ذلك وهم الذين مجدوه لانه قتل اباه ودفعوه لاعادة قتله أجابوه « اقتلو عحساب غرنا .. مش عحسابنا » .. طالما انت بعيد .. احنا معك .. اما تقتلوا عنا .. ما بدنا هالشغلة .. خلينا مرتاحين .. شرطة وسؤال وجواب ..

اليس هذا هو المجتمع العربي غير المشارك الا في الهرب من المسؤولية والتنصل منها والتبرع لخدمة السلطة حتى لا تمس راحته .. ومن هي السلطة المخيفه في مجتمعنا ؟. ومن هم اهل الضيعة البعيدين في الجرد الخارجين على القانون الا فيما يمس سلبيتهم ؟ ومن هو بوق الضيعة غير حلا ومن هي الارملة محبة (ليلى كرم) صاحبة المصلحة في احضان القبضاي تريد ان تستعيد به شبابها وترد به النظر عن كهولتها وعيوبها ؟..

كان الحوار جريئا جيدا ، واحيانا غالي في البعد ، الا ان مستواه في الفصل الثاني كان اضعف منه في الاول والثالث (حتى ان ناقدا سينمائيا معروفا غط في النوم فترة من الفصل الثاني وكان يصحو مذعورا على صوت حلا) كذلك فان كلمة واحدة ومشتقاتها كانت تلح على الحوار بشكل ملفت للنظر ودون ضرورة وهي « الخوت والاخوت .. الخ » واحيانا بدا الحاح استعمال الصفات واحيانا (الملونة) « باب جهنم الاسود » .. حتى بدت احيانا بعض هذه الصفات مفتعلة برغم ادراكنا التام لهذا النوع من حشرية الكلام في المجتمعات البدائية .

وعند الحديث عن الممثلين ونبيه ابي الحسن بالذات لا يمكن ذلك دون الاشارة الى دوره في جحا ففي مستهل المسرحية حين دخل الى الدكان دخل بنفس خطوات جحا وانكساره وبدا كانه يكمل دوره في جحا ولكنه يجلس على المصطبة في الدكان بدلا من الكرسي في المقهى ولكن نعتقد ان دوره هنا خرج في موقفه على الخط الواحد الذي كان يلتزمه في مسرحية جحا وهنا يتميز بهذا عن ذاك . حلا او (الين تابت) كانت تقف بثقة على المسرح وكانت مقنعة وخفيفة الظل .. وجميع الممثلين كانوا يؤدون ادوارهم بشكل جيد وعلى نفس المستوى برغم ان بعضهم جديد على المسرح وبرغم ان بعضهم فقد الحوار فترات قصيرة .

استعان جلال خوري في شرح مواقفه في المسرحية ببضعة اناشيد كان يرددها الممثلون ، واحسن اختيار مناسباتها بحيث لم تؤثر على تسلسل المسرحية وسياقها . لحن هذه الاغنيات ووضع موسيقاها غازي مكداشي وهو ملحن ناشيء يبدو انه لا يجيد بعد موضوع العلاقات الشخصية برغم انه يجيد عمله . وقد سبق له أن لحن « اضراب الحرامية » و « جحا » ويظهر انه نجح هنا بشكل ظاهر في التأقلم مع جو المسرحية سواء في الالحان ام في التوزيع الموسيقي. كما ان جودة العزف والتسجيل وزق مطر محمد الرائع والذي تخلل فترة الاستراحة ايضا بعزف الحان من المسرحية ، كل هذه عوامل ساعدت في النجاح .

اما الديكور فكان رائعا ، وهو الذي نفذه ابراهيم عبد ، ولو احسن اقفال جوانب المسرح بشكل حائط خارجي مثلا او بطريقة ما لظننت نفسك مع الغبار الناشيء من تحت اقدام الواطئين الحانوت لظننت نفسك فعلا في دكان قرية نائية .

وبعد : فهل قالت المسرحية ما ارادت ان تقول ؟ نظنها قالت معظمه ونجحت في ذلك الى حد كبير وهي نقطة ضوء مشعة تستحق الوقوف امامها وهي مع مسرحيات اخرى تعرض وعرضت تخطو بالمسرح اللبناني الحديث العهد خطوات واسعة لا تصدق . لقد قالت المسرحية ما تريده والقت اتهامها في وجوهنا نحن المستمتعين بمشاهدتها فاتحة لنا كوة الامل والتفاؤل :

« بالهدني ماشي ثابت
والطاغي منو الاوى
لا تسمع لللي قال
وصور صورنا عوجا
بهالدني ماشي ثابت
والنكسة منا العبره »

ف. غ.

بقلم علي حسين خلف

إستبدل ملابسه... وقتل

حدق فيه . ودار شريط سريع من الماضي أمامه ، لم تطلع نحو زوجته وسألها :

ـ اليس هو ال ..؟

فاجابت همسا وهي تتظاهر بالتطلع الى الجدران :

ـ اه هو !.

فصرخ الضابط (مربود) عليهما :

ـ ماذا تقولان ؟ آه .. افهم ، تتآمران على السلاح ! اين السلاح ؟ انت يا حرمه ..

واشار الى الزوجة ثم اردف :

ـ أين خبأتم الاسلحة ؟ هيا دليني عليها ..

تطلعت المراة بمزيج من الخوف والاستنكار .. وبسطت يديها وهي تولول :

ـ يا حسرتي هو احنا بنعرف نستعمل السلاح ؟!! يا رب يا نبي ! الله يسمع منك !

استشاط الضابط غضبا ، وصرخ بها :

ـ ايش بتقولي يا حرمه ؟ اذن انت فدائية ..

ـ وما له الفدائي !!

كاد يستعمل سلاحه ويقتلها ، لكنه تردد في اللحظة الاخيرة ، وثبت بصره على الرجل الواجم الماخوذ ، ودار بعيونه على (غزالة) المختبئة خلف امها ، وخلفه وقف ثلاثة جنود يستخدمون لاطلاق النار فقط . ركز بصره مرة اخرى ، على الرجل ، وصرخ به :

ـ أنت بماذا تفكر ؟!! لا تضيع وقتي، اعطي الاسلحة والا قتلتكم ..

فهمس الرجل وهو ما زال شارد البال :

ـ طيب !

ولكنه في الحقيقة لم يكن لينتبه الى معنى رده هذا . فقد غرق في الماضي ، عندما تجمعت العائلة حوله واخذت تسأل عن المصير . كانت المدينة قد سقطت تحت الاحتلال كما سقطت كل الضفه . وكان ما لديه عشرة دنانير وفرها من مصاريف البيت ووضعت كاحتياط للمرض او لقدوم ضيف مفاجيء . وبينما كانوا يفكرون كعائلة في كيفية توفير المصروف اذا استمرت الحالة على ما هي عليه ، دق رجل الباب واندفع وهو يطلب الحماية قائلا :

ـ طيب علي ولاسال يا عمي ، ببوس رجلك ! خبيني عندك !

ـ وصلت يا ابني ، باطل ، ايش مالك ؟!

فحكى له قصة هربه ، وكيفية اغرائه للراعي الذي استبدل معه ملابسه العسكرية « ولعله المسكين مات الان !! » ، ثم عن عدم معرفته للطريق والبلد فهو مضطر لان يقيم (يختبيء) حتى يؤمن عملية الرحيل الى الضفة الشرقية . فقام الرجل بشهامة ورجولة واعطاه (القنباز) الجديد اليتيم الذي يملكه (للطلعة) ، وتعشى ليلتها ملوخية !

ـ الامر لله !

كانت اول جملة بدأ الرجل بها حديثه ، عندما جلس « المقدم الهارب » ، واردفت زوجته وهي بركن الغرفة :

ـ كنه سودا .

بينما كان الابن الوحيد (عباس) يخط على ورق مقوى بيتا من الشعر ، ويقضي الوقت في اعادة كتابته « ارانب ان تعرف اجنبي ، وهم دوما على قومي اسود » ! ثم يتطلع نحو « المقدم مربود » ، ويقول ساخرا :

ـ ماذا فعلت يا بطل ؟

ـ هل تريدني أن اموت لوحدي ؟!

ـ ولماذا لوحدك ؟

ـ لان الجميع هرب .. وانا هربت .

ـ عال وألله عال .. ارانب !

عندها احس الوالد ان ضيفه اهين ، فصرخ على ابنه :

ـ اسكت يا ولد ! احترم لسانك والراجل في البيت ! ابد وحده ما بتصفق !

فتمتم عباس وهو يتطلع الى الورقة :

ـ ليش هو في ايد واحدة حاولت تصفق ؟!!

ـ وبعدين يا ولد ؟

ـ ايش بعني ، اللي بيحكي الحق بتنخرق طاقيته ! ايش اسم الاخ ؟.

ـ مربود .

ـ آه ، مربود ، اسمع يا مربود ، بشرفك حاربت ؟

ـ لا .

ـ ليش ؟

ـ فجاة كل الدنيا تغيرت . ما فيش ولا ضابط ولا تموين ولا اتصال ولا ذخائر ! وكل واحد هرب بجلده ، هذي يا سيدي كل الطبخة

ـ يا ترى الطباخ مين ؟

ـ شو بعرفني !

تدخلت الام ، ولم تحتمل احراج الضيف، فقالت لابنها :

ـ اسكت يما الله يرضى عليك ، بكفي الخازوق اكلناه ، وعابز تزيد الطين بلة !! المهم شوف انت وابوك اشتروا للزلمة اواعي حليه لما تهدا الحال يروح على بلاده مستور !

فاحس مربود بالاحراج وقال :

ـ يا جماعة انا مش عارف كيف اشكركم ! خليتوني احس أني واحد منكم .. الله يقدرني على معروفكم ..

فقال الرجل :

ـ اش عاملين يا ابني ! ما انت شايف ، الرغيف بنقاسمه معك وبنعيش ، ما حد بوكل قسمة حد ! وآخرتها قطنة !

وانهمكا بحديث جانبي ، بينما كان عباس ما يزال يحاول مع شقيقته (غزالة) حتى تحفظ بيت الشعر ، ويتعمد ان يرفع صوته بكلمة « ارانب » ثم يتطلع الى مربود بخبث وابتسامة ساخرة .

صرخ الضابط « مربود » :

ـ انت بماذا تفكر أيها الرجل ؟ كدت تخرجني عن صوابي . اني اسألك :

ـ ما اسمك يا ولدي ؟

ـ ولماذا تريد اسمي ؟ حتى تسلمه لاسرائيل ! اعرف انكم جواسيس .

ابتسم الرجل بسخرية وقال :

ـ الله يسامحك .. احنا جواسيس ؟!

ـ اسمعوا يا جنود .. فتشوا الفراش !

فتدافع الجنود الثلاثة نحو الفراش والقوه على الارض ، ثم اخذوا يبقرونه برأس الحربة (السنجه) بحثا عن الاسلحة !! والضابط لا يكف عن الحملقة في اركان الغرفة ويحدق بشكل وقح بـ (غزالة) التي تجمدت وراء امها . ولاحت منه التفاتة الى صورة معلقة على الحائط ، فقال للرجل :

ـ لمن هذه الصورة ؟

ـ صورة ابني عباس ..

ـ اين هو ؟

ـ استشهد مع الفدائيين ..

فحملق الضابط في الصورة مجددا، وصرخ :

ـ عرفته .. لكن اين شاهدته !

فقال الرجل ببرود :

ـ في نابلس .

تطلع نحوه باستغراب وقال :

ـ كيف عرفت ؟

كان الجنود قد انهوا تمزيق الفراش ، فبدأوا بحفر ارض الغرفة مما تسبب بكسر غالبية الاواني ، وهجم احدهم على يد (غزالة) وانتزع « اسورة » ذهبية ، كانت قد اشترتها من (تحويشة) مصروفها لمدة ست سنوات .

ـ اتعدني بشرفك ألا تقتلني ؟

ـ اعدك !

ـ سأذكر لك بيتا من الشعر ، وبعدها تعرف انت .

وحكى بيت « الارانب » ، فجفل مربود ! وعرف الرجل وعباس والام وغزالة ، لكنه حاول ان يتظاهر باللامبالاة والغباء وعدم الفهم ، حتى لا يفرض عليه موضوع المعرفة القديمة بعض الالتزامات الادبية الان . فصرخ على الرجل :

ـ ماذا تقصد ببيت الشعر ؟ هل نحن الارانب !

فتدخل جندي كان قد بقر « مخدة » وقال :

ـ ان سيدي الرائد مربود نال وسام البطولة لصموده في الضفة .. انا نفتخر به !

ثم رفع يده الى مقدمة جبهته وانزلها وهو يتمتم : « سيدي » .

حملق الرجل بمربود وقال لنفسه :

ـ وسام بطولة ؟! مربود يأخذ وسام بطولة ! ابوك يا زمن !! وتبدلت غزلانها بقرود !!

كانت الزوجة وغزالة تتهامسان . ثم قالت الام بصوت مسموع وبطيبة وسذاجة :

ـ ولو يا مربود .. ولك عامل نفسك مش عارفنا ؟!!

احس كمن وخزه في جنبه ، ثم ازداد حزنا وهو يرد :

ـ ما هذا السؤال غير المهذب ؟ يا قليلة الادب !!

ـ انا قليلة الادب يا خاين العيش والملح !

ـ انا وحده شو .. وحياة صاحب الجلالة لازم تأدبي !

ولم تدر كيف فلت لسانها وهي ترد عليه بعنف :

ـ يلعن أبوك على ابو صاحب الجلالة، كلكوا اعرص من بعض !

احد الجنود الذين تعلموا بان الملك ظل الله على الارض ، احس ان المرأة تكفر وتخالف الدين عندما تلعن الملك ! والكافر يمكن ان يقتل في عرف تدريبات التوجيه المعنوي . هكذا علموه . ضغط على الزناد ، وافرغ كل بندقيته في الام وغزالة ، ثم تطلع الى مربود الذي احس ببعض الضيق ، وهتف :

ـ سيدي !

قطب مربود جبينه وصرخ :

ـ اي معروف ؟ انتم تصرون على انكم اديتم لي معروفا .. اي معروف ؟!

رفع الرجل يديه الملطختين بالدم ، وكان فكره يعمل بسرعة :

ـ « لا بد من قتله » .

واستعرض كل ادوات البيت :

ـ لا شيء يستعمل كسلاح .. المهم !

تطلع نحو جندي ركن بندقيته على الحائط ، وبينما كان الضابط يهمس لجندي من جنوده، كانت البندقية بيد الرجل جاهزة للاطلاق .

ذعر احد الجنود الذي شاهد حركة الرجل وصرخ :

ـ انتباه .

تطلع الجميع . كان الرجل قد افرغ رصاصتين ، كل واحدة بجندي وبقي مربود والجندي الذي يهمس له . قال الرجل :

ـ الان يا مربود نتقابل .. هلا اديت واجبي نحوك والان سؤادي واجبي بشكل كامل .

ـ لنتفق على حل

ـ اي حل ؟

ـ ان تترك السلاح واعدك بأن اقتلك ؟

ـ انت يا ارنب !!

سحب الجندي الاقسام ، فاطلق الرجل الرصاصة الثالثة ، وظل مربود مشدوها، مرتبكا :

ـ هل عرفتني يا مربود ؟

ـ نعم .

ـ اذن خذ .

ضغط على الزناد ، لكن الرصاصة لم تنطلق صعق وهو يتطلع الى البندقية ويجدها فارغة . فاندفع نحو مربود الذي اطلق النار عليه واصابه بكتفه ورفع البندقية الفارغة من مقدمتها وهوى بها على راسه قبل ان يسقط ، سقط هو ، وسقط مربود ، وسقطت البندقية . كان في الخارج اطلاق النار ما زال مستمرا ، عندما خرج الرجل الى الشارع والدم يسح منه ، وبهستيريا يصرخ :

ـ اين مربود ؟ اين مربود ؟ سأقص حلقك يا مربود !

وعندما هم ان يدخل احد الازقة كانت آخر كلمته قالها قبل ان يختفي :

ـ سأقتلك يا مربود .. سأقتلك .

علي حسين خلف
ـ عدن

شعر فلسطيني بالسويدية

في ستوكهولم ، صدرت بالسويدية مجموعة اشعار فلسطينية قام بترجمتها المستشرق انغفار رايدبيرغ ، وقد كتب لها مقدمة بقلمه .

وتحتوي المجموعة على قصائد لكل من : محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، سالم جبران ، راشد حسين ، فدوى طوقان ، ابو سلمى ، محمد القيسي ، محمد عزالدين المناصرة ، موسى صرداوي ، حسن حيدر .
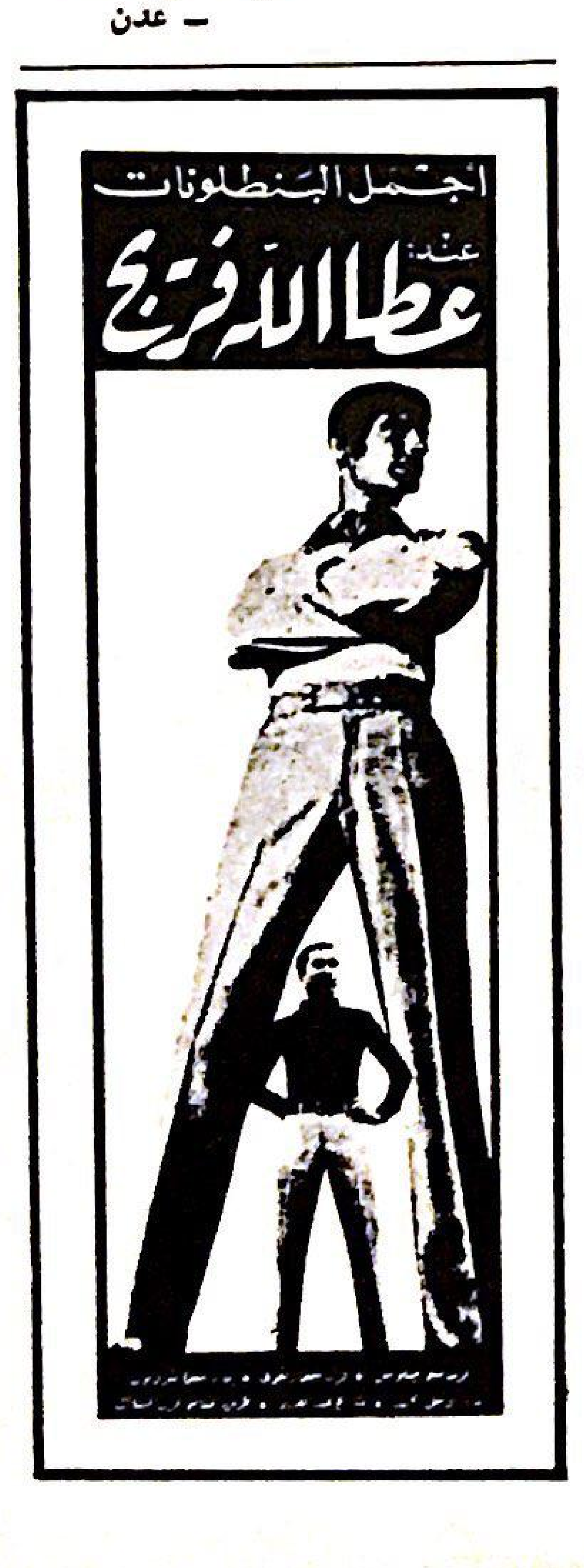
وتشمل الكتاب صورا رائعة تعكس عمق القصائد ، آخذها عدد من المصورين السويديين .